فضلهم من بعدهم غير اني سلكت بها طريقا لي فيه منفعة ولكم فيه مثل ذلك ولكم فيه بوكالة حسنه ومشاربة جميله
ما استقامت السيره وحسنت الطاعه فان لم تجدوني خيركم فاني خير لكم والله لا احمل السيف على من لا سيف معه
ومما تقدم مما علمتوه فقد جعلته دبر اذني وان لم تجدوني اقوم بحقكم كله فارضوني ببعضه فانما ليست ساسه
هويها وان السيل اذا جاء تترى وان قل اغنى واياكم الفتنه فلا تهموا بها فانها تفسد المعيشه وتكدر النعمه وتو
رث الاستئصال واستغفر الله لي ولكم ونزل انتهى وقيل في سبب ولاية الحجاج ذكر بعض المورخين
ان الحجاج لم يزل في كنف ابيه وكان ابوه رجلا نبيلا جليل القدر الى ان اتصل بروح بن زنباع من امرا عبد
الملك ثم بدا ولم يزل يترقى الى ان ولي العراق والمشرق وطار ذكره وعظم سلطانه واول ما علم من شهامته
وجوره ان اباه خرج من مصر يريد عبد الملك ومعه ابنه الحجاج فاقبل سليم بن عتر القاضي وكان من اورع
الناس واتقاهم فقام اليه ابوه يوسف فسلم عليه وقال له الك حاجه الى امير المومنين فقال نعم ان تساله يعزلني
من القضا فقال يوسف لوددت ان قضاة المسلمين كلهم مثلك فكيف اساله ذلك ثم انصرف فقال الحجاج لابيه
من هذا الرجل الذي قمت اليه فقال هذا سليم بن عتر القاضي قاضي مصر فقال يغفر الله لك يا ابت انت ابن ابي
عقيل تقوم الى رجل من كنده فقال والله اني ما ارى الناس يرحمون الا بهذا واشباهه فقال والله ما يفسد على
امير المومنين الا هذا واشباهه يقعدون وتقعد اليهم احداث فيذكرون سيرة ابي بكر وعمر فيخرجون
على امير المومنين فوالله لو اضيف الي هذا الامر لسالت امير المومنين ان يجعل الي السبيل فاقتل هذا واشباهه
فقال له اتق الله يا بني فوالله اني لاظن ان الله خلقك شقيا واول ما اعجب به عبد الملك منه انه كان اتصل
بروح بن زنباع وسار من جملة شرطته وكان روح بن زنباع بمنزلة نايب عبد الملك توجه الى الجزيره
لقتال زفر بن الحارث بعد ما عصى عليه بقرقيسيا فامر روح بن زنباع جماعة من اصحاب شرطته يحثون
المتاخرين من العسكر في كل منزل وكان من جملتهم فمر يوما بعد رحيل العسكر بجماعة من خواص روح في خيمة
ياكلون فامرهم بالرحيل فسخروا منه اولا للمطعم وثانيا لمحل سيدهم وقالوا له انزل كل واسكت فضرب
بسيفه اطناب الخيمة فسقطت عليهم واطلق فيها نارا فاحرقت اثاثهم فقبضوا عليه واتوا به روح بن
زنباع وسمع عبد الملك الخبر وطلبه وقال من فعل هذا بغلمان روح فقال انا يا امير المومنين امرتنا بالا
جتهاد فيما وليتنا ففعلنا ما امرت وبهذه الفعله يرتدع من بقي من العسكر وما على امير المومنين ان يعو
ضهم ما احترق وقد قامت الحرمه وتم المراد فاعجب عبد الملك ذلك وقال ان شرطيكم لجلد ثم اقره على ما هو
عليه ولما طال الحصار والقتال بينه وبين زفر بن الحارث ارسل عبد الملك رجا لا من حيوه وجماعة منهم
الحجاج الى زفر يدعوه الى الصلح فاتوه بالكتاب وقد حضرت الصلاه فقام رجا وصلى مع زفر وقام الحجاج
وصلى وحده فسئل عن ذلك فقال لا اصلي مع منافق خارج عن امير المومنين وبارز عن طاعته فسمع ذلك
عبد الملك فزاده عجبا بالحجاج ورفع قدره وولاه تباله وهي اول ما ولاه فخرج اليها فلما قرب سال عنها
فقيل له انها وراء هذه الاكمه فقال اف لبلد تسترها اكمه ورجع وقيل في المثل اهون على الحجاج من تباله ثم
وصل الى ما وصل اليه وزعم بعض الرواة ان الحجاج كان معلما للصبيان وكان يسمى كليبا وهو يقول الشاعر
اينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر رغيف له فلكة ما يرى واخر كالقمر الازهر

يشير الى

يشير الى ان خبز المعلمين يختلف في الصغر والكبر بحسب اختلاف بيوت الصبيان ثم صار دباغا ويستدل على
ذلك بحكاية مع كعب الاشعري وذلك ان المهلب بن ابي صفره لما اطال قتال الازارقه وكان الحجاج ارسله
الى ذلك كتب اليه يستبطيه في تاخير مناجزتهم فقال المهلب لرسوله قل له ان الشاهد
يرى ما لا يرى الغايب فقال كعب الاشعري وكان من جند المهلب ان ابن يوسف غره من غزوكم خفض المقام بجانب الامصار
لو عاين الصفين حين تلاقيا ضاقت عليه برحبها الاقطار ورأى معاودة الدباغ غنيمة ايام كان مخالف الاقتار
فبلغت ابياته الحجاج فكتب الى المهلب باشخاصه فاشخصه المهلب الى عبد الملك فاستنشده فاعجبه ما سمع فكتب الى
الحجاج يقسم عليه ان يعفو عن كعب فلما دخل كعب على الحجاج قال ايه يا كعب ورأى معاودة الدباغ غنيمة فقال يا
امير المومنين لوددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وما يورده المهلب في خطرنا ان انجو منها واكون حجاما او
حايكا فقال له الحجاج اولى لك لولا قسم امير المومنين لما نفعك ما اسمع فالحق بصاحبك انتهى وروى عن عوانة
بن الحكم قال سمع الحجاج تكبيرا في الاسواق وهو في الصلاه فلما انصرف صعد المنبر وقال يا اهل العراق يا
اهل الشقاق والنفاق ومساوي الاخلاق قد سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذي يراد به الله في الترهيب ولكنه
الذي يراد به الترغيب انها عجاجة تحتها قصف اي بني اللكيعة وعبيد العصا واولاد الاماء الا يربع الرجل
منكم على ضلعه ويحسن حمل راسه وحقن دمه فيبصر موضع قدمه والله ما ارى اليوم تشتغل بي ولكم حتى اوقع
بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وتاديبا لما بعدها وفات الحجاج هو الحجاج بن يوسف بن الحكم ابن ابي عقيل بن مسعود
الثقفي امير العراق ابو محمد ولد سنة اربعين او احد واربعين كان فصيحا بليغا مفوها فاسقا ظلوما غشوما
سفاكا للدماء روي انه لم يرضع الثدي حتى قال بعض الكهان اذبحوا له ثلاث جدي والعقوه دمها وغسلوه
بالدم ففعلوا فلذلك كان يحب سفك الدم وولد بغير مخرج فثقب له مخرج بالحديد قال ابو عمرو ما رايت احدا افصح
من الحجاج والحسن بن علي والحسن افصحهما وسياتي عدة من قتله صبرا ومن مات في سجنه انتهى قال مسلم بن
ابراهيم حدثنا الصلت بن دينار قال مرض الحجاج فارجف به اهل الكوفه فلما عوفي صعد المنبر وهو يتثنى على اعواده وقال
يا اهل العراق يا اهل الشقاق والنفاق والمراق نفخ الشيطان في مناخركم قلتم مات الحجاج فمه والله ما ارجو الخير
الا بعد الموت وما رضي الله الخلود لاحد من خلقه الا لاهونهم عليه ابليس وقد قال العبد الصالح سليمان رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فكان ذلك ثم اضمحل فكان لم يكن يا ايها الرجل وكلكم ذلك الرجل كاني بكل
حي ميت وبكل رطب يابس وكل امرئ في ثياب طهور الى بيت حفرته فخد له في الارض خمسة اذرع طولا في ذراعين
عرضا فاكلت الارض لحمه ومصت من صديده ودمه ثم نزل انتهى قال محمد بن المنكدر كان عمر بن عبد العزيز يبغض
الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت اللهم اغفر لي فانهم يزعمون انك لا تفعل قال الاصمعي انشد الحجاج
يا رب قد حلف الاعداء واجتهدوا بانني رجل من ساكني النار ايحلفون على عمياء ويحهم ما علمهم بعظيم العفو غفار
فاخبر الحسن بهما فقال ان نجا فبهما انتهى وحكي ان المنصور سهر ليلة وعنده اناس من مضر وفيهم خالد بن
صفوان ابن اهتم التميمي المذكور وناس من اليمن فيهم ابراهيم بن مخرمة الكندي فقال ابو العباس هاتوا اقطعوا ليلتنا

Copyright © King Saud University